



(١١٣) (١٣٣)

العدد الثالث
والثلاثون

مشاهد السحر في قصة النبي موسى عليه السلام القرآنية - دراسة في الإعجاز الصوتي

م.م سوزان مصطفى حسين مصطفى

الجامعة التقنية الشمالية/ كلية البوليتكنك / الموصل

Suzan_1985@ntu.edu.iq

المستخلص:

يتناول البحث مشاهد السحر في قصة النبي موسى (عليه السلام)، دراسة صوتية: في الأصوات والمقاطع، والمشاهد التي تم الاعتماد عليها كانت موزعة على أربعة سور: الأعراف، يونس، طه، الشعراء، وتهدف الدراسة إلى الكشف عن الأبعاد الصوتية في النص القرآني، تلك الأبعاد التي تسهم في بناء الأثر الدلالي والنفسي لهذه المشاهد، واعتمدت على منهج التحليل الصوتي اللغوي في الكشف عن العلاقة بين الصوت والمعنى؛ إذ تم إحصاء ورصد تكرار الأصوات وصفاتها من جهر وهمس وانفجار واحتكاك وميوعة، وبيان مالها من تأثير على السياق الصوتي، وكذلك إحصاء المقاطع الصوتية والوقوف عند أسباب غلبة بعض المقاطع على غيرها وتأثير هذه الكثرة والغلبة على النسق الصوتي في المشاهد، وتأثير إيقاعها في السياق الصوتي للمشهد، وخلصت الدراسة إلى أن البنية الصوتية في مشاهد السحر وقفت إلى جانب باقي مكونات اللغة لتحقيق المعنى بما يحقق التأثير النفسي والجمالي، وهذا يعكس قوة الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية: (مشاهد السحر، الأصوات، المقاطع، الإعجاز القرآني)



Phonetic Miracles in the Scenes of Magic in the Qur'anic Story of Prophet Moses: An Analytical Study

Suzan Mustafa Hussein Mustafa

Northern Technical University

Suzan_1985@ntu.edu.iq

Abstract:

This study examines the scenes of magic in the Qur'anic story of Prophet Musa (peace be upon him) from a phonetic perspective, focusing on sounds and syllables. The scenes under investigation are distributed across four Surahs: Al-A'raf, Yunus, Ta-Ha, and Ash-Shu'ara'. The aim of the study is to uncover the phonetic dimensions of the Qur'anic text—dimensions that contribute to the construction of its semantic and psychological impact. The research adopts a linguistic-phonetic analysis method, recording and analyzing the frequency and qualities of sounds, including voicing and voicelessness, plosives, fricatives, and liquids, and highlighting their influence on the phonetic context. It also includes counting syllables and identifying the reasons behind the dominance of certain syllable types over others, as well as the effect of such prevalence on the phonetic structure and rhythm within the scenes. The study concludes that the phonetic structure in these magic scenes works alongside other linguistic components to realize meaning in a way that achieves both psychological and aesthetic impact—reflecting the profound depth of the Qur'an's phonetic miracle.

Keywords: Scenes of magic, sounds, syllables, Qur'anic inimitability

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن الكريم معجزة خالدة، تحدّى به البلغاء وأعجز الفصحاء، وجعل فيه من البيان ما يثبت القلوب ويهدي العقول، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمي، المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

فإن القرآن الكريم كتابٌ هدايةٍ ومعجزةٌ خالدةٌ؛ إذ تفرد بأسلوبه البياني وإعجازه البلاغي والصوتي، فجاءت آياته حاملةً من المعاني والدلالات ما يُثبت القلوب ويقنع العقول ويؤثر في النفوس، كما أنه جاء ثراءً بالقصص التي تحمل العبر والمعاني على مرّ العصور، ومن أبرز تلك القصص القرآنية التي حملت الكثير من المعاني قصة النبي موسى (عليه السلام)؛ إذ حوت على جوانب كثيرةٍ وجزئيات مختلفة، توزعت على مشاهد كثيرة، ومن تلك الجوانب ما حدث بينه وبين سحرة فرعون، وهي مشاهدٌ جمعت بين قوة الحجة وجمال العرض؛ وقد وردت هذه المشاهد في سورٍ متعددة بأسلوب يجمع بين الإيجاز والتفصيل، وبين السرد الإيقاعي المتسارع والمتدرج والمتأني، والسور هي: الأعراف، يونس، طه، يونس، وقد ارتتبنا أخذ هذه المشاهد بالدراسة الصوتية، وخرجنا بعنوان (مشاهد السحر في قصة النبي موسى عليه السلام القرآنية - دراسة في الإعجاز الصوتي)، محاولين الكشف عن جانب دقيق من جوانب الإعجاز القرآني، حيث تتأزر الأصوات والمقاطع مع المعنى لتشكيل نسق صوتي متكامل يخدم السياق الدلالي للنص القرآني، فالبنية الصوتية في القرآن ليست مجرد أداة لنقل المعنى، بل هي عنصر فعّال في صياغة الجو الشعوري للمشهد، وتعكس انفعالات الشخصيات، وتبرز ملامح الصراع بين الحق والباطل، وتضبط إيقاع الأحداث بما يتلاءم مع طبيعته.

وتكوّنت الدراسة من ثلاثة مباحث، أما المبحث الأول فعنون: (السحر والإعجاز الصوتي)، والمبحث الثاني حمل عنوان (البنية الصوتية لمشاهد السحر)، والمبحث الثالث فكان عنوانه (البنية المقطعية لمشاهد السحر) وانتهت الدراسة بخاتمة بأهم النتائج التي تم التوصل إليها وثبتت للمصادر والمراجع التي استندت عليها الدراسة مع ملحقٍ يحوي جداول إحصائية في الصوت والمقطع.

المبحث الأول: السّحر والإعجاز الصّوتي

من المعلوم أن هذه الدراسة تقوم على تحليل مشاهد السّحر في قصة النبي موسى (عليه السلام) من منظور صوتي؛ لذا كان من الضروري قبل الولوج إلى التحليل أن نقف عند محورين أساسيين يمثلان الإطار النظري للبحث: أولهما السّحر من حيث مفهومه اللغوي والاصطلاحي، وثانيهما الإعجاز الصّوتي بوصفه أحد أوجه الإعجاز القرآني الذي يتجلى في تناسق الأصوات والمقاطع مع المعنى والسياق.

أولاً: السّحر وماهيته

السّحر في اللغة جاء بمعنى "كل ما كان من الشيطان فيه معونة، والسّحر: الأخذة التي تأخذ العين. والسّحر: البيان في الفطنة" (الفراهيدي، ٢٠٠٣، ٣ / ١٣٥)، وقد فصل القول في معنى السّحر أحمد بن فارس بقوله: "السين والحاء والزاء أصول ثلاثة متباينة: أحدها عضو من الأعضاء، والآخر خدع وشبهه، والثالث وقت من الأوقات، فالعضو السّحر، وهو ما لصق بالخلقوم والمرى من أعلى البطن ويقال بل هي الرّثة" (ابن فارس، ١٩٧٩، ٣ / ١٣٨)، فنراه يفسر معنى الأصل الثالث من أصول جذر (سحر) وهو سحر بأنه خدع وشبهه ثم يقول: "هو إخراج الباطل في صورة الحق، ويقال هو الخديعة" (ابن فارس، ١٩٧٩، ٣ / ١٣٨)؛ إذا فإن السّحر عند اللغويين له معانٍ جميعها تدور حول الدهاء والفطنة والقدرة على خداع الآخر بالخفة والمكر حتى يُخيل للرائي أنه يرى الحقيقة وماهي كذلك، وهذا الأمر يؤكد ابن منظور بقوله "السّحر عملٌ تُقربُ فيه إلى الشيطانِ وبِمعونتهِ منه، كلُّ ذلك الأمر كَيُونَةٌ للسّحر، ومن السّحر الأخذة التي تأخذ العين حتى يُظنَّ أن الأمر كما يرى وليس الأصل على ما يرى؛ والسّحر: الأخذة. وكلُّ ما لطف مأخذه ودقّ، فهو سحرٌ، وأجمع أسحارٌ وسحورٌ، وسحره يسحره سحراً وسحراً وسحره، ورجلٌ ساحرٌ من قومٍ سحره وسحارٍ، وسحارٌ من قومٍ سحارين، ولا يُكسر؛ والسّحر: البيان في فطنة" (ابن منظور، ١٩٩٧، ٤ / ٣٤٨)، والأمر الذي يجعلنا نتوقف عند التعريف اللغوي للسّحر هو قولهم: بأنه عملٌ فيه تقربٌ إلى الشيطان ومعونة منه، وهذا يعني أنه عملٌ فيه إيذاء وضررٌ بالإنسان؛ لأن كل شيء يدخل فيه الشيطان عوناً، فيه مضرةٌ بالإنسان وإخراجٌ له عن الطريق المستقيم الذي خطّه الدين القويم.



السَّحْرُ فِي الاصطلاح: لا يمكن الوقوف على المعنى الشَّامِل لهذه اللفظة دون الاطلاع على تعاريفِ اصطلاحية لها فقد عرَّفها أحدُهم بقوله: السَّحْرُ " كلُّ أمرٍ خُفي سببُهُ، وتُخَيَّلَ على غير حقيقته، ويجرى مجرى التمويه والخداع" (الجصاص، ١٩٨٥، ١/٥١)، وهو "عبارةٌ عن أمورٍ دقيقةٍ موعلةٍ في الخفاءِ يمكن اكتسابها بالتعليم، وتجري مجرى التمويه والخداع، تصدرُ من نفسٍ شريرةٍ، من عالمٍ بالعناصرٍ بغير مباشرةٍ أو بالمباشرة" (السكري، ١٩٨٦، ٣٨)، وقيلَ بأنَّ السَّحْرَ: أمرٌ غريب يشبهُ الخارق، إذ يجري فيه التعلم، ويستعان في تحصيله بالتقرب إلى الشيطان بارتكاب القبائح قولاً كالرُقَى التي فيها ألفاظ الشرك، ومدح الشيطان، وتسخيره، وسائر الفسوق واعتقاداً كاستحسان ما يوجب التقرب إليه، ومحبته إياه. (عبد الوهاب، ٢٠٠٧، ٣٢٥)

فالمعنى الاصطلاحى لا يذهب بعيداً عن المعنى اللغوي؛ فالسَّحْرُ هو كلُّ عملٍ قُصد فيه تضليلُ الحقيقة وإخراجها بوجهٍ يخيلُ للمقابلِ بأنَّها هي الحقيقة لا غيرها، قصداً منه إيذاء الآخرين باستعانة مباشرة وغير مباشرة بالشيطان من خلال التقرب إليه وطلب المعونة منه.

السَّحْرُ فِي الْقُرْآن: وهذه المعاني للسحر أكد عليها القرآن الكريم من خلال دلائل كثيرة كقوله تعالى:

﴿ قَالَ أَلْقُوا ۖ فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأعراف: ١١٦]

فإن في الآية معنى التمويه والخداع " ومعنى سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ؛ أي خدعوا الناس بما أظهوره لهم من التمويه حتى ظنوا أن ما يرونه حقيقة" (الطبري، ٢٠٠١، ٩/٣١٧).

ومما جاء بمعنى استعمال السَّحْرِ لغرض الشر وإيذاء الآخرين قوله تعالى:

﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحَرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۖ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَرَوْجِهِ ﴾ [البقرة: ١٠٢]

فإن فيها تأكيداً بأن السَّحْرَةَ يأخذون تعاليمهم من الشياطين ولا يستعملون أعمالهم وخدمهم إلا في إيذاء الآخرين وإنزال المضرّة بهم (الرازي، ١٩٨١، ٣/٢٠٠)



وقد ورد السحر بأشكاله في مواطن كثيرة ومتنوعة في القرآن الكريم، لا يسع المجال لذكرها؛ لأن الدراسة اقتصرت على مشاهد السحر في قصة النبي موسى (عليه السلام)، وكان عدد المشاهد أربعة وهي:

١. مشهد سورة الأعراف: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَاءَ السَّحْرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (١١٣) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (١١٤) قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ (١١٥) قَالَ أَلْقُوا ۖ فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ (١١٦) وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ ألقِ عصاك ۗ فَإِذَا هِيَ قَلَمٌ مُّتَمِّمٌ مَّا يَأْكُفُونَ (١١٧) فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٨) فَغَلَبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ (١١٩) وَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ (١٢٠) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢١) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ (١٢٢) قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ۗ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكَّرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا ۗ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (١٢٣) لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (١٢٤) قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿﴾ [الأعراف: ١١٣-١٢٥]

٢. مشهد سورة يونس: قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ (٧٥) فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ (٧٦) قَالَ مُوسَى أَنْقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ ۗ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ (٧٧) قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتْنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمُ بِمُؤْمِنِينَ (٧٨) وَقَالَ فِرْعَوْنُ اانْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ (٧٩) فَلَمَّا جَاءَ السَّحْرَةَ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ (٨٠) فَلَمَّا أَلْقُوا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحْرَ ۗ إِنَّ اللَّهَ سَيَبْطِلُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿﴾ (٨١)﴾

[يونس: ٧٥-٨١] مجلة العلوم الأساسية
للعلوم التربوية والنفسية وطرائق التدريس للعلوم الأساسية

٣. مشهد سورة طه: قَالَ تَعَالَى: ﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى (٦٠) قَالَ لَهُم مُّوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ ۗ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى (٦١) فَتَنَزَعُوا أَمْرَهُمُ بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى (٦٢) قَالُوا إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُتَمَلَّى (٦٣) فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ اانْتُوا صَفًّا ۗ وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى (٦٤) قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوْلَ مَنْ أَلْقَى (٦٥) قَالَ بَلْ أَلْقُوا ۗ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيَّهُمْ تُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى (٦٦) فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى (٦٧) قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى (٦٨) وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا ۗ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاحِرٍ ۗ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى (٦٩) فَأُلْقِيَ السَّحْرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى (٧٠) قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ۗ إِنَّهُ لَكَبِيرِكُمْ الَّذِي



عَلَّمَكُمُ السَّحَرَ ۖ فَلأَقْطَعَنَّ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلاَفٍ وَأُصْلَبَنَّكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى (٧١) قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ النَّبِيَّاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا ۖ فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٧٢) إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السَّحْرِ ۖ وَاللَّهُ خَبِيرٌ وَأَبْقَى (٧٣) ﴿طه: ٦٠-٧٣﴾

٤. مشهد سورة الشعراء: قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (٣٤) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (٣٥) قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأُبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (٣٦) يَاأَتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ (٣٧) فَجَمَعَ السَّحَرَةَ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (٣٨) وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ (٣٩) لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ (٤٠) فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةَ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّا لَنَا لِأَجْرٍ إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (٤١) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٢) قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلقُونَ (٤٣) فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ (٤٤) فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (٤٥) فَأَلْقَى السَّحَرَةَ سَاجِدِينَ (٤٦) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٧) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ (٤٨) قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آدَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُ لَكَبِيرِكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السَّحَرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۖ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلاَفٍ وَأُصْلَبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (٤٩) قَالُوا لَا ضَيْرَ ۗ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ (٥٠) إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ (٥١)﴾ [الشعراء: ٣٤-٥١]

ثانياً: الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم

إن أهم ما يميز اللغة العربية عن باقي لغات العالم الجانب الموسيقي الإيقاعي؛ إذ إنها تتسم باتساق حروفها وكلماتها وتراكيبها، وتلاؤم ذلك مع ما يعبر به الإنسان عن ذاته واحتياجاته، وهذا ما أخبرنا به ابن جني بقوله وتعريفه للغة: "فإنها أصوات يُعَبَّرُ بها كلُّ قومٍ عن أغراضهم"، (ابن جني، ١٩٥٢، ٣٣/١)، فقد ربط بين اللغة في أصغر مكوناتها وبين أغراض متكلمها، فالصوت هو أصغر وحدة في أية لغة، ثم فصل القول في العلاقة الوثيقة بين أصوات الألفاظ ومعانيها في كتابه الخصائص؛ إذ يقول: "فأما بابُ مقابلة الألفاظ بما يشكلُ أصواتها من الأحداث فبابٌ واسعٌ؛ وذلك أنهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سَمَتِ الأحداث المعبر عنها" (ابن جني، ١٩٥٢، ٢/١٥٧)، فالصوت في اللغة العربية ليس اعتباطياً وإنما يؤدي معنىً دقيقاً كغيره من مكونات الكلام العربي، وعندما نزل القرآن الكريم نزل حاملاً جميع ملامح هذه اللغة التي عرفها متكلموها وأهلها، فحمل كلَّ خصائصها اللغوية والدلالية كي يؤثر في النفوس ويدحض الكافرين منهم، فجاء وانبهر به السامعون: "قلما قرئ عليهم القرآن، رأوا حروفه في كلماته، ومعرفته في جملته، ألحاناً لغوية رائعة، كأنها لا تتلافها

وتناسبها قطعةً واحدةً، قراءتها هي توقيعها فلم يفهم هذا المعنى و أنه أمر لا قِبَلَ لهم به" (الرافعي، د ت، ١ / ١٤٨)، فانبهروا به وكان الجانب الصّوتي جزءًا بيّنًا من انبهار العرب بالقرآن الكريم بداية نزوله؛ لما فيه من جمال في تناسق الألفاظ والجُمَل والتراكيب بما يتناسب مع المعنى وما ذلك إلا جزءً واضحٌ لإعجاز القرآن في نظمه الموسيقي الصّوتي وهذا ما يؤكدُه الرافعي بقوله: "و حسبك بهذا اعتبارًا في إعجاز النظم الموسيقية على ذلك الوجه الذي هو فيه لا فيه، لترتيب حروفه باعتبار من أصواتها ومخارجها، ومناسبة بعض ذلك لبعضه مناسبة طبيعية في الهمس والجهر والشدة والرخاوة، والتفخيم والترقيق، والتفشي والتكرير" (الرافعي، د ت، ١ / ١٥٠-١٥١).

فالإعجاز الصّوتي في القرآن الكريم متعلقٌ بأمرٍ كثيرةٍ منها:

١. التناسب الصّوتي بين الحروف (الأصوات)

استعمال الأصوات في الكلمات بما ينسجم مع المعنى، بحيث تستعمل الأصوات المجهورة والانفجارية أو المهموسة بما يتلاءم والجو النفسي للمشهد المصور، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة: ١-٢]؛ فإن عدد الأصوات في الآيتين (٥٥) صوتًا (٤٨) منها صوتًا مجهورًا بنسبة (٨٧%) وهذا الارتفاع في المجهورات إنما يتناسب مع وصف أهوال يوم القيامة، ومثال ارتفاع المهموسات قوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٣٧]، فنسبة المهموسات فيها تجاوزت الـ(٣٣%) وهي نسبة عالية تتلاءم والطمأنينة التي يبثها الله عز وجل في قلب نبيه ومن آمن به، فهو يطمئنُه بأن: " أي لا تلتفت إلى معاركهم ولا إلى حوارهم فالله يكفيك بكل الوسائل عن سواه" (الشعراوي، ١٩٩١، ١ / ٦١١).

مجلة العلوم الأساسية
للعلوم التربوية والنفسية وطرائق التدريس للعلوم الأساسية

٢. التناسب الصّوتي في توزيع المقاطع

إنَّ التَّنَاسِبَ الصّوتِي فِي تَوْزِيعِ المَقَاطِعِ الصّوتِيَةِ دَاخِلِ الآيَاتِ القُرْآنِيَةِ يُحَدِثُ تَنَاسُقًا صَوْتِيًّا رَهِيْبًا يَتَلَاءَمُ مَعَ المَعْنَى الدَّلَالِي لِلايَةِ والسُّورَةِ والمَشْهَدِ؛ إذ تَكْتَرُ المَقَاطِعِ الشَّدِيدَةِ فِي الحَالَاتِ الَّتِي تَطْلُبُ ذَلِكَ والمَقَاطِعِ المَتَوَسُّطَةِ البَطِيئَةِ فِي المَوَاقِفِ اللِّينِ والرَّحْمَةِ مِثَالُ الأَوَّلِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْقَارِعَةُ * مَا الْقَارِعَةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾ [القارعة: ١-٢]، فإن المشهد مليء بالمقاطع الشديدة (ص ح، ص ح ص) التي تتناسب مع يوم القيامة والرهبية التي فيه؛ إذ بلغ نسبتهما في الآيتين (٧٣%) من عدد المقاطع الكلي، ومثال الثاني قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، فإن نسبة المقاطع المفتوحة بلغت (٨١%) من مجموع المقاطع وبلغ



نسبة المقطع المتوسط (ص ح ح) (٣١,٢٥%)، وعلو نسبة المقاطع المفتوحة_ التي من سماتها أنها تكثر في سياقات الرحمة والعطف_ لاعتت جو الآية التي تتحدث عن المؤمنين وكيفية تأثير ذكر الله في قلوبهم واطمئنانهم عند الحديث عنه (ابن عاشور، ١٩٨٤، ١٣/١٣٧).

٣. التكرار الصوتي

تكرار بعض الآيات والجمل والمقاطع والأصوات لإحداث أثرٍ نفسيٍّ أو لتوكيد معنىٍّ، كتكرار قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٦٧]؛ فإنها تكررت (٣) مرات في قصة النبي موسى (عليه السلام) والخضر، فهذا التكرار أتى لترسيخ الفكرة في الذهن بخاصة أنها كانت تأتي بعد كل حادثة أشد وقعاً من الأخرى، فكانت بمثابة استدعاء ذهني للحوادث السابقة.

٤. التنغيم

إن التنغيم أيضاً عنصرٌ مهمٌّ من عناصر الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم؛ إذ نوع في استعمال التنغيم ودرجاته بما يتلاءم مع المعنى الذي تحقّقه الجملة والآية والمشهد، ومن أمثلة التنغيم قوله تعالى: ﴿أَلَيْهَ مَعَ اللَّهِ ۖ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [النمل: ٦٠]، فإن الهبوط والصعود بالتنغيم في نطق الهمزتين مفتوحةً مرةً ومكسورةً أخرى يوحي بمدى الاستفهام الاستنكاري فيها، وكذلك قوله تعالى: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ﴾ [يس: ٣٠] فإن أداء الآية مع مد الياء يوصل للسامع شدة التأسف على حال العباد الذين استهزأوا بالرسول.

فهذه تعدّ العناصر الأساسية للإعجاز الصوتي في القرآن الكريم غير أن دراستنا اكتفت بجانبين اثنين منها وهي: الأصوات والمقاطع وأثرهما في السياق الصوتي، وذلك في مشاهد السحر في قصة النبي موسى (عليه السلام).

المبحث الثاني: البنية الصوتية للمشاهد

إن القرآن الكريم_ كما سبق_ نُزل على العرب وبلغتهم؛ لذا فقد حوى جميع الخصائص التي تحتويها لغتهم، وهذا من أسباب الإعجاز فيه وسر اندهاش العرب أمامه، وكذلك سر التأثير فيهم، ومن تلك الجوانب الجانب الصوتي؛ الذي يُعد جانباً مهماً في اللغة العربية ولغة القرآن على وجه الخصوص، كظهور أصوات معيّنة في سياق محدد بشكل يثير انتباه السامع، لأن لكل صوت صفاته التي تميّزه عن غيره؛ وقد قسم علماء الأصوات الصوت اللغوي إلى مجاميع وفقاً لمعايير علمية وصوتية حسب



طريقة نطقه وكيفية خروجه، كما موضح في الجدول (٤) ومن تلك المجاميع: الجهر والهمس، والانفجار والاحتكاك والمائعة، ولكل منها نسبة انتشار محددة في الكلام العربي؛ إذ أتضح أن نسبة شيوع الأصوات المهموسة في الكلام العربي لا تكاد تزيد عن الخمس، أو عشرين في المئة منه، في حين أن أربعة أخماس الكلام تتكون من أصوات مجهورة (أنيس، ٢١، ١٩٧٥)، وهذا هو الحد الطبيعي لما تم استقراؤه من الكلام العربي، وعليه فإن أي انخفاض أو ارتفاع عن هذا الحد في هذين الصفتين يكون لمعنى وغاية دلالية، والأمر نفسه في كتاب الله الذي جاء على سمت كلام العرب حاملاً جميع الملامح التي يحملها كلامهم، فيلاحظ أن الجهر يرتفع عن حده الطبيعي وينخفض في المواضع التي تتطلب ذلك وكذلك الهمس.

وعند النظر إلى مشاهد السحر في القرآن الكريم وجدنا بعض السمات الصوتية البارزة فيما يخص بالجهر والهمس؛ إذ بلغ عدد الأصوات في المشاهد مجتمعة (٣٠٨٨) صوتاً، وكان عدد الأصوات المجهورة منها (٢٥٩٢) بنسبة ٨٣,٩٣%، في حين أن الأصوات المهموسة كان عددها (٤٩٦) بنسبة ١٦,٠٦% فإن نسبة الأصوات المجهورة مرتفعة نوعاً ما عن حدّها الطبيعي في سياق مشاهد السحر في القصص القرآني؛ الأمر الذي يتناسب مع مسألة السحر ومحاولة خداع الناس وإبهارهم لما في المجهورات من قدرة إقناعية، ومن ثم مناسبتها مع نهايات المشاهد من حيث إعلاء صوت الحق ودحض الباطل والسحر، ولا شك في أن "صوت الحق والدعوة إليه لا بد أن يكون فيه من علو النبرة ما فيه لأجل بلوغ الغاية التي هي الإقناع والتأثير في الضال" (مصطفى، ٢٠٢١، ٢٢٧)، كما أن مقارعة الكفر بكافة أشكاله يتطلب سياقاً تعلق فيه النبرة و"يستدعي الجهر بالصوت لإعلاء الحق وإقامة الحجة على الظالمين" (السالم، ٢٠٠٧، ٢٤).

والجدير بالذكر أن مشهد سورة الشعراء الأكثر احتفاءً بالمجهورات؛ إذ بلغ عدد أصوات المشهد (٨٧٧) صوتاً، وكان عدد الأصوات المجهورة (٧٤٧) صوتاً أي بنسبة ٨٥,٠٧% وهي النسبة العليا مقارنة بباقي مشاهد سحرة فرعون مع النبي موسى (عليه السلام)، وقد يدل هذا الارتفاع في المجهورات على ما يأتي:

أولاً: في هذا المشهد نجد خطاباً قوياً لفرعون؛ إذ إنه يتكلم بلهجة تقريرية، تهديدية، حاسمة (الشعراوي، ١٩٩١، ١٧/١٠٥٦٣)، وتناسب الأصوات المجهورة هذه اللهجة، وقد ارتفعت المجهورات إلى ٨٥,١٠% في قوله تعالى على لسان فرعون: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (٣٤) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (٣٥)﴾ [الشعراء: ٣٤-٣٥]



ثانياً: في هذا المشهد الوصف القرآني لشخصية النبي موسى (عليه السلام) في موقف اجتماع السحرة تمتاز بالقوة والصلابة أكثر منها في بقية المشاهد وهذا يتلاءم مع الأصوات المجهورة، وذلك ليوازي تهديد ونبرة فرعون في بداية المشهد؛ ولو قارنا ذلك مع مشهد سورة طه الذي حوى على أدنى نسبة للمجهورات؛ إذ وصف القرآن شخصية النبي موسى وموقفه أثناء اجتماع السحرة بقوله: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾ [طه: ٦٧]؛ إذ انخفضت فيه المجهورات إلى نسبة ٦٤% وارتفعت المهموسات إلى ٣٥,٧١% وإن عدنا للاستقراء فهذا ارتفاع شاسع يستدعي الوقوف عنده بالتأمل، وهو تماماً يتماشى مع خوف النبي موسى (عليه السلام) عندما ألقى السحرة عصيهم وخشي الخسارة أمامهم؛ "أي أحسَّ موسى بالخوف من أن يغلب، تأثراً بالطبيعة البشرية، وابتهج فرعون وقومه، وظنوا أنهم قد نجحوا، وأن السحرة فازوا على موسى وهارون" (الزحيلي، ٢٠٠٩، ٢٤٣/١٦)؛ إذاً لا شكَّ البتة أن السياق الصوتي في القرآن ينسجم تماماً مع المؤدى إن كان وصفاً أو كلاماً على لسان أشخاص أو غير ذلك.

ثالثاً: هذا المشهد فيه نزوة التحول من الكفر إلى الإيمان؛ إذ إنه حوى على انقلاب السحرة وإعلانهم الصريح بإيمانهم لرب العالمين، وهذا الإعلان يحتاج جهراً ووضوحاً وجاذبية صوتية؛ لأنه بمثابة انقلاب شامل في الفناعة، وهذا تماماً ما تناسبه المجهورات في السياق الصوتي؛ إذ ارتفعت المجهورات في قوله تعالى على لسان السحرة إلى ١٠٠%، ولم يرد أي صوت مهموس في: ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٤٧]

ومن ناحية الانفجار والاحتكاك والمائعة، فإن بالنظر إلى الجدول الصوتي يُلاحظ ارتفاع نسبة الأصوات المائعة؛ إذ كانت نسبتها ٢٦,٤٨% متفوقاً على نظيرتها الانفجارية التي كانت نسبتها في عموم المشاهد ١٥,٩٣% والاحتكاكية ١٤,٢٨%، وارتفاع الأصوات المائعة في سياق المشاهد أمر طبيعي يتناسب مع جو المشاهد المشحون بالانفعالات، وهذه الأصوات؛ أي المائعة تمتاز بأن لها قدرة على توصيل المشاعر والأحاسيس إلى المخاطب بسهولة ويسر من خلال ما يتسم به من بساطة وعدم تكلف في أدائها (عوض، ١٩٩٣، ٧٣-٧٤)؛ لذلك كانت تلائم السياق الصوتي في المشاهد بسبب احتوائها على انفعالات وجدانية كثيرة، حيث انتقل السحرة من تحدُّ إلى خضوع، ومن الكبر إلى الخشوع، فجاءت البنية الصوتية متناغمة مع هذا الانقلاب الداخلي العاطفي والإيماني.

المبحث الثالث: البنية المقطعية في مشاهد السّحر

يشكّل المقطع الصّوتي جانباً مهماً في الدرس الصّوتي، ونعني به تلك الوحدة الصّوتية التي تتكون من عدة أصوات مثال ذلك قولنا: أتى مُحَمَّدٌ، فالجملة هذه متكوّنة من (١٤) صوتاً ما بين صامتٍ وصائتٍ موزعاً على (٦) ستة مقاطع كالاتي: (ءَ تَا مُ حَمَّ مَ دُنْ) (ص ح / ح ص ح / ح ص ح / ص ح ص / ص ح ص) فالمقطع الصّوتي: "هو وحدة نطقية تتكون من صوت أو مجموعة من الأصوات التي تُنطق دفعة واحدة، ويكون للمقطع في العادة نواة هي الصّوت المتحرك (الحركة)، ويبدأ المقطع غالباً بصامت وقد ينتهي بصامت" (أنيس، ١٩٧٥، ١٢٥)، وهو "وحدة إيقاعية في الكلام، تتكون من تتابع من الأصوات لا يقبل القسمة أثناء النطق، وله مركز يتمثل غالباً في صوت علّة، تحيط به صوامت" (شاهين، ١٩٩٣، ١٦٠) وللمقطع في كل لغة نظام خاص يحكم عدد الصّوامت والصّوائت وترتيبها، أما في اللغة العربية فيوجد نوعان من المقاطع وهي:

(١) نوع ينتهي بصامت (مفتوح).

(٢) ونوع ينتهي بصائت (مغلق).

ويلاحظ أن كل مقطع فيه صائت بسيط أو مركب يشكل نواة المقطع أو قمة العلو فيه (الخولي، ١٩٨٢، ١٦٠) و(وهبة والمهندس، ١٩٨٤، ٣٨-٣٨١)، وهذان النوعان يوزعان على ستة مقاطع يشكلان عدد المقاطع في اللغة العربية (أنيس، ١٦١-١٦٤) و(عوض وحسين، ٢٠٠٩، ٧٢-٧٣):

والمقاطع الأكثر شيوعاً واستعمالاً في اللغة العربية هي المقاطع الثلاثة الأولى (أنيس، ١٩٧٥،

١٦٤) و(البيه، ١٩٩٤، ١٢١):

١- القصير المفتوح (ص ح)

٢- المتوسط المفتوح (ص ح ح)

٣- المتوسط المغلق (ص ح ص)

أما المقطع الرَّابِع والخامس والسادس فهي قليلة الورد (أنيس، ١٩٧٥، ١٦٤) و(عزت، ٢٠١٢، ١٠٢).

ويعد المقطع الأول الأكثر غلبةً في الكلام العربي، وقد يصل إلى حد النصف؛ فقد أظهرت الإحصائيات التي أجراها بعض الباحثين "أن المقطع القصير ص ح المتكون من صامت + حركة هو أكثر المقاطع تكراراً في الأنماط المقطعية في اللغة" (أبو سليم، ١٩٨٩، ١٩٤)، وبما أن القرآن



حملَ جميعَ الملامح التي تحملها لغة العرب، فكثرة هذا المقطع فيه أمر طبيعي، و "تكراره جاء ليتوافق مع اللسان العربي ونظام اللغة العربية؛ وبذلك لا يشعر القارئ بصعوبة عند تلاوته" (إبراهيم، ٢٠٠٦، ٨٦).

ولو أتينا إلى مشاهد الدراسة لوجدنا أن العدد الكلي للمقاطع في المشاهد بلغ (١٣٢١) مقطعاً صوتياً، كان عدد المقطع الأول منها (٣٥٥) بنسبة ٤١,٨٦%، وعدد المقطع الثاني (٣٢٢) بنسبة ٢٤,٤%، أما المقطع الثالث فقد جاء بعدد (٤٠٨)؛ أي بنسبة ٣٠,٨٩%، فهذا النسيج المقطعي يوحي بغلبة المقطعين: الأول الذي يمتاز بأنه سريع، ويثير انتباه السامع (غالب، ٢٠٠٣، ٤٩)؛ والمقطع الثالث وهذا المقطع يتميز بقصر المد بالصوت عند النطق به؛ أي: بسرعه، وانتهائه بساكن مفاجئ يحد من مد الصوت، فيكسبه نوعاً من القوة (مباركي، ١٩٩٣، ٥٤-٥٥)، أما المقطع الثاني فكان أقل حضوراً من المقطعين، ولكن برز في أماكن حسب ما يتطلبه السياق الصوتي للمشاهد وكما يأتي:

أولاً: المقطع الأول المقطع القصير: (ص ح)

هذا النوع يعد من أخف المقاطع الصوتية والأكثر سرعة في النطق، مما يمنحه قيمة دلالية تتمثل في الإيجاز الحاد والتوتر اللحظي، ويسهم في تكوين تعبيرات صوتية خاطفة تعبر عن المواقف المفاجئة أو المشحونة بالانفعال، كما أنه يعكس حيوية الحدث وتسارع إيقاعه، مما يجعله مثالياً للمشاهد التي تتضمن تحولات مفاجئة أو قرارات آنية، وعادة ما يُستعمل لإبراز المواقف التي تستوجب حسماً أو مباشرة، دون إطالة أو تفصيل، وقد يُوظف هذا المقطع لنقل حدة التحدي أو سرعة الاستجابة أو التحول الحاسم، ويتماشي مع الخطاب القصصي ذي الطابع التصعيدي؛ لذلك فإن غلبة هذا المقطع للعلوم التربوية والنفسية وطرائق التدريس للعلوم الأساسية جاء ملائماً لجو المشاهد من تسارع الأحداث والانقلابات السريعة المفاجئة للشخصيات، فالسحرة تحولوا بسرعة من وضع التحدي إلى وضع الرضوخ والسجود، وهذا انقلاب سريع ومفاجئ، كما أن الأحداث داخل المشاهد سريعة أيضاً عدا مشهد سورة يونس؛ لذلك نجد نسبة هذا المقطع منخفضة؛ إذ لم تزد عن ٣٨,٠١%، بينما كانت أعلى نسبة لهذا المقطع في سورة الشعراء ٤٣,٢٨% التي كان فيها الإيقاع الصوتي متسارعاً والأحداث كثيرة ومتراكمة فلو تأملنا قوله تعالى:

﴿فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ (٣٨)﴾ [الشعراء:٣٨]، لوجدنا أنه يتكون من (١٥) مقطعاً (٩)

منها مقطع قصير (ص ح) بنسبة ٦٠% وهي نسبة عالية تحاكي السرعة التي جُمع فيها السحرة



وانتفضت لقول كبيرهم فرعون؛ "فَجَمْعُ السَّحْرَةِ وَقَعَ فِي أَسْرَعِ وَقْتِ عَقَبِ بَعَثِ الْحَاشِرِينَ حِرْصًا مِنْ الْحَاشِرِينَ وَالْمَحْشُورِينَ عَلَى تَنْفِيذِ أَمْرِ فِرْعَوْنَ" (ابن عاشور، ١٩٨٤، ١٩/١٢٥).

وكذلك قوله تعالى من نفس المشهد: ﴿فَأَلْفَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (٤٥) فَأَلْفَىٰ السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ (٤٦)﴾ فإن الآيتين تكونتا من (٣١) مقطعاً، وقد ورد المقطع القصير فيها (١٧)؛ أي بنسبة ٥٤,٨٤%، وحتى عند قراءة الآيتين يُلاحظ فيها تسارع الإيقاع المنسجم تماماً مع الدلالة وسرعة الالتهام عصا النبي موسى (عليه السلام) لماء جاء به سحرة فرعون وفي ذلك قال الشعراوي: " وأخذت العصا تبتلع وتلتهم في سرعة وقوة، أما السرعة واختصار الزمن والقوة، فتدل على الأخذ بشدة وعُنف، وفي هذا دليل على أنه خاض المعركة بقوة، فلم تضعف قوته لما رأى من الأعياب السحرة" (الشعراوي، ١٩٩١، ١٧/١٠٥٦٩).

ثانياً: المقطع الثاني: المقطع المتوسط المفتوح (ص ح ح)

يتميز هذا المقطع بطول نسبي يجعله أكثر امتداداً صوتياً من غيره، ويمنح الكلمة مساحةً صوتيةً أطول، وهذا يكسبه أبعاداً دلاليةً خاصة، يجعله يتناسب مع المواضيع التي تحتاج إلى نوع من التمهّل أو التدرج البلاغي في الانتقال بين المعاني، أو للتوكيد أو التوسع في التصوير، وكذلك الإقناع، وهذا ما لاحظناه عند النظر في مشاهد السحر في قصة النبي موسى (عليه السلام)؛ إذ إن هذا المقطع ورد في السياقات التي تتطلب بطلاً في الأداء، فمشهد سورة يونس عرض في سياق هذه السورة بطريقة مختلفة عن المشاهد الأخرى؛ إذ نجد أن القصة فيها تباطؤ في تسلسل الأحداث بعكس المشاهد الأخرى التي تسارعت فيها الأحداث، وقد بلغ نسبة المقطع (ص ح ح) في هذا المشهد أعلى نسبة وهي ٢٩%، بينما حصل المقطع السريع (ص ح) على أدنى نسبة له بين المشاهد وهي ٣٨,٠١%، وهذا عائدٌ كما ذكرنا إلى طريقة عرض سورة يونس لأحداث قصة السحرة مع النبي موسى (عليه السلام)، والمماثلة التي فيها ومحاولة النبي موسى إقناعهم برسالته فلو تأملنا الحوار الذي دار بين النبي وموسى (عليه السلام) وبين فرعون وملئه: ﴿قَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ (٧٦) قَالَ مُوسَىٰ أَنْفُلُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ ۗ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ (٧٧) قَالُوا أَجِئْنَا لِنُلْفِتَنَّا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ



لَكَمَا بِمُؤْمِنِينَ (٧٨) ﴿﴾ لرأينا عددًا غير قليلٍ لهذا المقطع في سياق الآيات؛ إذ حوت الآيات على (١٠٢) مقطعًا صوتيًا، بلغ نسبة المقطع المتوسط المفتوح منها ٣١,٤%، وهي نسبة مرتفعة وتتلاءم مع مسألة إقناع فرعون وجماعته بأن رسالته حقٌ وليس سحرًا كما يدعون.

ثالثًا: المقطع الثالث: المقطع المتوسط المغلق (ص ح ص)

يمثل هذا النوع من المقاطع صوتًا مغلقًا، يختتم غالبًا بوقف صامتة تضيف ثقلًا على المعنى، وله ميزات واضحة؛ إذ يُشعر السامع بانتهاء تام أو قرارٍ نهائي، ويمنح المعنى وزنه الكامل، ويعزز من ثبات الكلمة في الذهن، ويُستعمل في التعبير عن الوقائع القاطعة أو الأقوال المحكمة التي لا تحتمل التردد أو التأويل، كما أنه يُستعمل لبناء الجُمْل التي تنتهي بحزم، أو تهديد، أو إعلان موقف نهائي، ويخدم قوة الحُجّة وتوكيد الدلالة، وقد كانت نسبة هذا المقطع في مشاهد الدراسة غير قليلة؛ فهي جاءت بنسبة ٣٠,٨٩% وهي نسبة مرتفعة وتتناسب السياق الصوتي في المشاهد، خاصة أنها كثرت في المواضع التي تتطلب حزمًا وقوة وثباتًا، فهذا قوله تعالى على لسان فرعون: ﴿لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ ثُمَّ لأَصْلَبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (١٢٤)﴾ الأعراف فالآية فيها تدفق واضح للمقطع المتوسط المغلق (ص ح ص)؛ فقد ورد في (١٢) مرة بنسبة ٤٠%، وهذا الارتفاع لهذا المقطع يتناسب مع الدلالة المعنوية في الآية التي فيها وعيد فرعون لجماعته؛ إذ فيها تهديد واضح ونبرة قوية من فرعون للسحرة، "وهذا الوعيد - كما نراه - قاسٍ وفظيع، فتقطيع الأيدي والأرجل ثم الصّلب كلها أمور تخيف وترهب" (الشعراوي، ١٩٩١، ٤٣٠٣).

وقوله تعالى: ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى (٦٨)﴾ فالشّكيل المقطعي للآية يتكون من (١٢) مقطعًا، (٦) منها مقاطع صوتية مغلقة (ص ح ص)؛ أي: بنسبة ٥٠%، وهذا الارتفاع الكبير لهذا المقطع في الآية لاعم شديد التلاؤم مع النبرة الإلهية التي بها طمأن النبي موسى (عليه السّلام) لحظة خوفه من سحرة فرعون وأفعالهم، فكان بحاجة إلى نبرة قوية تسندهُ وهو في لحظات خوفه، فجاء الدعم الإلهي ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى (٦٨)﴾.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على خير البرية محمد صلى الله عليه وسلم، وبعد:

فإنه وبعد هذا التحليل الصوتي والمقطعي لمشاهد السحر في قصة النبي موسى عليه السلام القرآنية - دراسة في الإعجاز الصوتي، تبين لنا ما يأتي:

١. إن التحليل الصوتي والمقطعي لا يكشف فقط عن جماليات النص القرآني من الناحية اللغوية، بل يسلط الضوء على التوظيف البارع للأصوات في خدمة المعنى والدلالة، مما يجعل القرآن الكريم معجزة متجددة في اللفظ والمعنى.
٢. أن البنية الصوتية للنص القرآني تحمل معاني دلالية دقيقة تتناسب مع سياق كل مشهد، وتعزز الأثر التعبيري والمعنوي في المتلقي.
٣. إن توزيع الأنماط المقطعية داخل مشاهد السحر في قصة النبي موسى لم يأت عفويًا، بل يعكس عبقرية بلاغية قرآنية توظف البنية الصوتية لخدمة المعنى وتكثيف الإيقاع النفسي للنص؛ فحين يتسارع الحدث، تهيمن المقاطع القصيرة (ص ح)؛ وحيث يُراد التهويل أو التوكيد، يظهر الامتداد في (ص ح ح)؛ وحيث يُختم القول بحزم، يبرز المقفل (ص ح ص).
٤. إن الإعجاز القرآني لا يقتصر على المعنى الدلالي فحسب بل إنه شامل لأدق التفاصيل كالصوت والمقطع اللذين يشكلان جانبًا مهمًا يخدمان الدلالة.
٥. ومن خلال تحليل البنية المقطعية للمشاهد الأربعة، يُلاحظ أن المقاطع الصوتية الثلاثة (ص ح)، (ص ح ح)، و(ص ح ص) تؤدي وظائف مختلفة تتناسب مع طبيعة كل مشهد، فالمقطع (ص ح) يغلب في المواقف السريعة التي تتطلب أداء صوتيًا خفيفًا وسريعًا، كما في لحظة السجود المفاجئ للسحرة، حيث يغلب الفعل اللحظي المباغت، أما المقطع (ص ح ح) فيظهر بشكل أوضح في المشاهد التي تحتوي على حوار مطوّل أو تهديد، أو إقناع؛ لأنه يضيف امتدادًا زمنيًا للكلمة، ما يمنحها أثرًا نفسيًا أعمق، كما نلاحظ في حوار النبي موسى (عليه السلام) مع فرعون وملئه، والمقطع (ص ح ص) يُستعمل في المواضع التي تحتاج إلى نبرة حاسمة أو نهايات مغلقة، مثل مشاهد الاتهام أو الحكم القطعي، مما يعطي للكلمة ثباتًا صوتيًا واضحًا؛ إذًا فإن هذه



الأنماط المقطعية لا تُوظف اعتباطاً، بل تأتي منسجمة مع السياق التعبيري والحدث النفسي في كل مشهد، وهو ما يؤكد دقة البناء الصوتي في النص القرآني.

٦. عند تتبع البناء الصوتي للمشاهد التي وردت فيها قصة سحرة فرعون، يُلاحظ استعمال متنوع لأنواع المقاطع الصوتية، لا سيما الثلاثة الأساسية: (ص ح)، (ص ح ح)، (ص ح ص)، و من خلال الإحصاء تبين أن المقطع (ص ح) هو الأكثر شيوعاً، ويرتبط في الغالب بالمواقف التي تتطلب أداءً سريعاً وخفيفاً، كالاستجابة الفورية أو التحول المفاجئ، كما في لحظة سجود السحرة بعد مشاهدة معجزة النبي موسى (عليه السلام)

٧. أما على مستوى الصفات الصوتية، فقد برزت الأصوات المجهورة بنسبة تفوق ٨٣% في جميع المشاهد، مما يعكس طابع القوة والجرم والتصعيد في الخطاب القرآني.

٨. كانت الأصوات المائعة حاضرة بنسبة ملحوظة (٢٦,٤٨%)، لتضفي شيئاً من الليونة التعبيرية والانسيابية في الانتقال بين المقاطع.

المصادر والمراجع

١. إبراهيم، عادل عبد الرحمن عبد الله. (٢٠٠٦). النظام المقطعي ودلالاته في سورة البقرة: دراسة صوتية تحليلية وصفية (رسالة ماجستير، جامعة غزة، كلية الآداب، قسم اللغة العربية). إشراف فوزي إبراهيم موسى أبو فياض.
٢. أبو سليم، عصام، الأنماط المقطعية في اللغة العربية: دراسة كمية، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، ٩(٣٦)، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، (1989).
٣. أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، (ط. ٥)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة_ مصر، (1975).
٤. أنيس، إبراهيم، علم الأصوات، (ط. ٩)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة_ مصر، (د.ت).
٥. البيه، وفاء، أطلس أصوات اللغة العربية، (ط. ١)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (1994).
٦. الجصاص، أبو بكر أحمد بن علي الرازي، أحكام القرآن (تحقيق محمد الصادق قماوي)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (1985).



٧. الخولي، محمد علي، معجم علم الأصوات، (ط. ١)، مطابع الفرزدق، الرياض، (1982).
٨. السالم، عدالة مصطفى موسى، سورة الصافات دراسة أسلوبية (رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا، بإشراف محمد القضاة)، الأردن، (2007).
٩. السكري، عبد السلام عبد الرحيم، السحر بين الحقيقة والوهم في التصور الإسلامي، دار الكتب الجامعية، القاهرة، (1986).
١٠. الشعراوي، محمد متولي، تفسير الشعراوي، دار أخبار اليوم، القاهرة، (١٩٩١).
١١. شاهين، عبد الصبور، في علم اللغة العام، (ط. ٦)، دار النهضة العربية، بيروت، (1993).
١٢. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تحقيق أحمد محمد شاكر)، دار هجر، القاهرة، (2001).
١٣. عوض، إبراهيم، سورة طه دراسة أسلوبية لغوية مقارنة، دار الطائف، الطائف، (1993).
١٤. عوض، سامي، وحسين، صلاح الدين سعيد، التشكيل المقطعي مفهومه وعلاقته بالنبر اللغوي، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، سوريا، (2009).
١٥. الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين (تحقيق عبد الحميد هنداوي)، (ط. ١)، دار الكتب العلمية، بيروت، (2003).
١٦. ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، (1984).
١٧. ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص (تحقيق محمد علي النجار، ٣ مجلدات)، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت.).
١٨. ابن فارس، أحمد، مقاييس اللغة (تحقيق عبد السلام هارون)، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، (1979).
١٩. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين مكرم، لسان العرب، (ط. ١)، دار صادر، بيروت، (1997).
٢٠. غالب، نرمين، أثر المستوى الصوتي في تشكيل الدلالة: سورة الحاقة أنموذجًا، حوليات التراث، جامعة مستغانم، الجزائر، (2016).



٢١. مباركي، يحيى علي يحيى، المقطع الصوتي العربي بين الكمية والمدة الزمنية: دراسة أكوستيكية تطبيقية (أطروحة دكتوراه، جامعة أم القرى، كلية الدراسات العليا، مكة المكرمة)، السعودية، (د.ت).
٢٢. مصطفى، سوزان، الإيحاءات الصوتية لسياقات العاطفة الأسرية في القرآن الكريم (رسالة ماجستير، جامعة الموصل، كلية التربية للبنات)، العراق،..(2021)
٢٣. الرفاعي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ت).
٢٤. سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد (تحقيق أسامة بن عطايا بن عثمان العتيبي)، (ط. ١)، دار الصّميعي للنشر والتوزيع، الرياض، (2007).
٢٥. الزحيلي، وهبة، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، (ط. ١٠)، دار الفكر، دمشق، (2009).
٢٦. وهبة، مجدي، والمهندس، كامل، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، (ط. ٢)، مطابع بيروت، بيروت، (1984).
٢٧. ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتوير، تونس: الدار التونسية للنشر، (1984).
٢٨. الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، بيروت: دار الكتب العلمية، (٢٠٠٣).

Sources and References

1. Abu Salim, I. (1989). Syllable patterns in the Arabic language: A quantitative study. The Arab Journal for the Humanities, 9(36). Kuwait University, Academic Publication Council.
2. Al-Bayy, W. (1994). Atlas of Arabic language sounds (1st ed.). Cairo: The Egyptian General Book Organization.
3. Al-Farahidi, A. A. K. (2003). Kitab al-‘Ayn (1st ed., A. H. Hindawi, Ed.). Beirut: Dar al-Kutub al-‘Ilmiyya.
4. Al-Jassas, A. A. A. A. (1985). Ahkam al-Qur’an (M. S. Qamhawi, Ed.). Beirut: Dar Ihya’ al-Turath al-Arabi.
5. Al-Khouli, M. A. (1982). Dictionary of phonetics (1st ed.). Riyadh: Al-Farazdaq Press.
6. Al-Rafi‘i, M. S. (n.d.). The miracle of the Qur’an and the prophetic eloquence. Beirut: Dar al-Kitab al-‘Arabi.



7. Al-Salem, A. M. M. (2007). A stylistic study of Surah As-Saffat (Master's thesis, University of Jordan, Graduate School). Supervised by Muhammad Al-Qudah.
8. Al-Sha'rawi, M. M. (1991). Tafsir al-Sha'rawi. Cairo: Dar Akhbar al-Youm.
9. Al-Shahin, A. (1993). On general linguistics (6th ed.). Beirut: Dar al-Nahda al-'Arabiyya.
10. Al-Tabari, M. I. J. (2001). Jami' al-bayan 'an ta'wil ay al-Qur'an (A. M. Shakir, Ed.). Cairo: Dar Hajar.
11. Al-Zuhaili, W. (2009). Al-Tafsir al-munir fi al-'aqidah wa al-shari'ah wa al-manhaj (10th ed.). Damascus: Dar al-Fikr.
12. Anis, I. (1975). Linguistic sounds (5th ed.). Cairo: Anglo-Egyptian Bookshop.
13. Anis, I. (n.d.). Phonetics (9th ed.). Cairo: Anglo-Egyptian Bookshop.
14. Awad, I. (1993). A comparative stylistic linguistic study of Surah Ta-Ha. Ta'if: Dar Al-Ta'if.
15. Awad, S., & Hussein, S. D. S. (2009). The concept of syllabic structure and its relationship to linguistic stress. Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies, Series of Arts and Humanities.
16. Ezzat, A. A. (2012). The long closed syllable with consonant: A statistical study. Al-Farahidi Journal of Arts, (10). University of Tikrit, Faculty of Arts.
17. Ghaleb, N. (2016). The effect of the phonetic level in shaping meaning: Surah Al-Haqqah as a model. Annals of Heritage, (16). University of Mostaganem, Algeria.
18. Ibn 'Ashur, M. T. (1984). Al-Tahrir wa al-tanwir. Tunis: Tunisian Publishing House.
19. Ibn Faris, A. (1979). Maqayis al-lughah (A. S. Harun, Ed.). Beirut: Dar al-Fikr.
20. Ibn Jinni, A. F. 'U. (n.d.). Al-Khasa'is (M. A. Al-Najjar, Ed.; 3 vols.). Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyya.
21. Ibn Manzur, A. F. J. M. (1997). Lisan al-'Arab (1st ed.). Beirut: Dar Sader.
22. Ibrahim, A. A. R. A. (2006). The syllabic system and its significance in Surah Al-Baqarah: A descriptive and analytical phonetic study (Master's thesis, Gaza University, Faculty of Arts, Department of Arabic Language). Supervised by Fawzi Ibrahim Musa Abu Fayyad.
23. Mubarki, Y. A. Y. (n.d.). The Arabic syllable between quantity and duration: An applied acoustic study (Doctoral dissertation, Umm Al-Qura University, Makkah, Graduate School).
24. Mustafa, S. (2021). The phonetic implications of contexts of family emotion in the Holy Qur'an (Master's thesis, University of Mosul, College of Education for Women).
25. Sulayman bin 'Abd Allah bin Muhammad bin 'Abd al-Wahhab. (2007). Tayseer al-'Aziz al-hameed fi sharh Kitab al-Tawhid (1st ed., O. B. A. B. O. Al-'Utaybi, Ed.). Riyadh: Dar al-Sumay'i for Publishing and Distribution.

JOBS



مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science



Print -ISSN 2306-5249

Online-ISSN 2791-3279

العدد الثالث والثلاثون

٢٠٢٥ م / ١٤٤٧ هـ

Wahba, M., & Al-Muhandis, K. (1984). Dictionary of Arabic terms in language and literature (2nd ed.). Beirut: Beirut Press



مجلة العلوم الأساسية
للعلوم التربوية والنفسية وطرائق التدريس للعلوم الأساسية

JOBS



مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science



Print -ISSN 2306-5249

Online-ISSN 2791-3279

العدد الثالث والثلاثون

٢٠٢٥ م / ١٤٤٧ هـ



مجلة العلوم الأساسية
للعلوم التربوية والنفسية وطرائق التدريس للعلوم الأساسية